الفصل الأول:

المقاهى بين الماضى والحاضر والمستقبل

أبقى في المقهى.. منتظرا.. عشرة أعوام قمرية.. منتظرا.. سيدتي الحلوة..
تقرأني الصحف اليومية.. ينفخني غيم سيجاراتي.. يشربني فنجان القهوة.

من قصيدة «بانتظار سيدتي»
للشاعر الكبير «نزار قباني».

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

لماذا يرتاد الناس المقاهي؟..

مما لا شك فيه كإحدى الحقائق التى يلهج بها الهم الفكرى فى رصده، ويصدقه فى ذلك الواقعى فى فعله، ويتطلبه كذلك الإنساني؛ أن البيوت ربما لا يخلو واحد منها من الشاى والقهوة.. وهذا مما يقدم لطرح موضوعى للتساؤل المتأمل:

"لماذا يرتاد الناس المقاهي"؟..

وقد تكون الإجابة – على وجه ما – فى مقولة الروائى الكبير "إبراهيم أصلان" حينما قال:

"هناك ثلاثة أنواع من المقاهي، الأول هو مقاهى العابرين الموجودة بوسط القاهرة والميادين العامة والشوارع الرئيسية يجلس عليها من ينتظر موعدا، أو طالب الراحة بين الذهاب إلى أكثر من مكان فى نفس اليوم، والثانى هو المقاهى الشعبية الموجودة داخل الأحياء الشعبية وهى ليست للعابرين، وإنما للمقيمين

داخل هذه الأحياء والمعروفين لبعضهم البعض ولصاحب المقهى، ويقصدها يوميا عدة أجيال من سكان المنطقة، وتعتبر بمثابة منتدى اجتماعى يلتقى فيه جيل الكبار وجيل الشباب يتبادلون الحديث حيث لا تتحمل البيوت استقبال هذه المنتديات يوميا، وهى تقوم بدور لا يقل خطورة عن مقاهى المثقفين وهى النوع الثالث من المقاهى الذى يجتمع فيه الأدباء والكتاب والمثقفون مع القراء"(١).

أو قد تكون الإجابة – على وجه ما آخر – فى قول الكاتب الانجليزى "هنرى جيمس" فى تعليقه على ظاهرة بزوغ المقاهى الباريسية حينما قال: "هنا يتمكن المرء من الجلوس بسلام لساعات من دون إزعاج: يقرأ ويكتب فى الصباح، ويقوم بأعماله فى الظهيرة، ويضحك ويناقش الأصدقاء ليلاً"(٢).

أو على وجه مصرى ثالث فى قول "د. عصمت نصار": "وأعتقد أن العلة الغائية للمقاهى المصرية من حيث كونها إحدى آليات التنوير والتثقيف كان لها السبق فى ذلك، أى قبل مقاهى باريس ومنتدياتها"(٣).

---

(١) مقال بعنوان "مقاه صنعت أدباء وأدباء صنعوا مقاهي"، بقلم: عبير درويش، بجريدة الشرق الأوسط، العدد٨٦٦٤، بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠٠٢م.

(٢) الزين، هدي، المقاهى الأدبية فى باريس، حكايات وتاريخ، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٤م، ص٢٨.

(٣) مقال بعنوان "مقاهى القاهرة ودورها التثقيفي"، بقلم: عصمت نصار، مجلة الثقافة الجديدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، مارس ٢٠١٦م، العدد ٣٠٦، ص١١٥.

.. ولأن هناك ارتباطا وثيقا بين ظاهرة المقهى والعلوم الإنسانية التى تهتم بالإنسان، وأيضا لأنه من المعلوم بداهة أن الظواهر الإنسانية لا يمكن إحاطتها من زاوية رؤية واحدة، فهى كأبعاد جوهرة متعددة الأبعاد، من كل زاوية منها يتجلى بعد مختلف.. فبالتالى حُق لنا أن نتساءل ثانية:

"لماذا يرتاد الناس المقاهي؟"..

هل لأنه المقهى مكان للترويح والترفيه والمتعة؟.. فهو بديل بريء للخمارات، ومكان للمتعة اليومية التقليدية، ولتبادل النكات.. إلخ.. والإنسان عنده ميل طبيعى لفعل اللهو البريء بعد عناء اليوم الطويل. وهو للبعض أيضا مكان مخصص لفائض الوقت والمال وما يطرحه ذاك السياق من علاقات للأنس والترفيه واللذة.

أم هل لأنه مكان لفعل الكسل والخمول والهروب من التحديات.. فهو مكان للتحرر من تقاليد المنزل والمسجد وأماكن العمل، وملاذ للأزواج الهاربين من منازلهم، إذ يقولون عنه: "البيت الثانى للرجل".

أم أنه مكان لأصحاب العقليات الخرافية التى تناجى حظها فى الخوارقيات عن طريق رمية نرد أو ضربة زهر تستجلب الحظ.. فمن أهم السمات السلبية للمقاهي؛ انتشار أنواع الألعاب التى لا تتسم بأى نوع من أنواع التفكير أو الفن، بل إنها تقوم على المصادفة والحظ عن طريق رمى الزهر أو ما شابه، فاللاعب ينتظر شيء خارج عن إرادته وعن مقدرته، لم يشارك فى فعله. وخطورة هذه الملاحظة

تنبع من اتخاذها منهجا للتفكير ومن ثم الفعل. وليس عجبا أن نجد سريان التواكل والاعتماد على الحظ والمقادير والقدر وكل شيء مكتوب مسبقا.. مثل تلك المقولات المنتشرة فى العقل المصرى والمجتمع عامة دليل حى على اللافعل واللاتدبير فى الحياة، فإذا كان الشخص يلعب وهو ينظر ما يأتى به الزهر، فهو يعيش أيضا منتظرا لما تأتى به المقادير(١).. وربما منتظرا لمخلصه الغائب.

أم للمنافع المادية العائدة عن ارتياده.. من علاقات، ومصالح، وأعمال، ومعارف، وتبادل للمعلومات، وأحيانا لممارسة بعض العادات التى لا تليق ببعض البيوت مثل شرب النارجيلة أو الشيشة.

أم أنه مكان لراغبى الخصوصية.. فهى لها خصوصيتها ومؤهلة للقيام بالدور الخاص، إذ هو المكان العام فى خصوصيته، والخاص فى عمومه، وهو القادر على أن يكون الاثنين معا(٢).. لذا فإن حرية الاختيار للرواد فى موضوع الخصوصية متاحة للجميع، لكل من يضع حدودا لعلاقاته، أو من لا يضع لها حدودا، أو ما بين بين.

أم لدوره فى ترسيخ العلاقات الاجتماعية.. لأن المقهى كمكان -خاصة فى مصر - له خصوصيته وعمقه الشعبى ودلالاته الاجتماعية، لتنوع رواده السنى وعدم اقتصاره على صغار ومتوسطى السن، فهم يتواصلون بغض النظر عن طبقاتهم الاجتماعية أو معتقداتهم أو

(١) انظر: يوسف، حسن طه مصطفى، جماليات المكان، المقهى عند نجيب محفوظ نموذجا، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠١٣م، ص١٥٧.

(٢) عبد الحميد، صلاح، المقاهى فى تاريخ الأدب، دار العلوم للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠٠٩م، ص٨٥.

جنسياتهم.. فهو ليس مقصورا على أحد. والمقهى – فى رأى البعض - هو أولى خطوات الاندماج فى عالم الرجال ذوى الحرية مفتوحة السقف والأركان، كما أنه يلعب دورا محوريا فى رعاية المسنين، علاوة على غناه بصور التكافل بين الطبقات والالتحام والتواصل.

أم لأنه صورة حقيقية للمجتمع الحقيقى الذى ينشده الناس دون المؤسسات الرسمية، ويلتقون فيه على وحدة مصيرهم العام.. فالمقهى كما يقول "عبد الرشيد الذوادي" هو: "مكان المجتمع الذى ينشد دائما مصيره بعيدا عن المؤسسات".

أم لأنه يؤدى دورا نفسيا متعدد الأبعاد، بمناجاته للحاجة الأصيلة التى تسكن النفس البشرية فى رغبتها الملحة للتحاور مع الآخرين، ولحنينها الدائم لأن تجادل وتناقش وتمحص فكرها وتعرضه للنقد والاختبار.. ومن هنا يتأتى دور المقاهى فى تدعيم السلامة النفسية لأفراد المجتمع، فالمقهى على المستوى الفردى مجال خصب للفردنه والخصوصية الحميمية والتأمل الذاتي(١).

أم لأنه على مستوى الحريات أكثر الأماكن تحررا ودعوة لممارسة حرية التعبير، فالمقاهى ذات حرية مفرطة ومفتوحة لكل الطبقات والتى لا خصوصية لها. ولأنه على المستوى العام مكان سيكولوجى لمواجهة الآلام والهموم الثقافية والسياسية.. وهذا مما دعا إلى قول: "ربما لا نغالى إذا قلنا: أن الإنسان فى المقهى يكون أكثر تحررا من

(١)انظر: مقال بعنوان "المقهى فى العالم العربي"، بقلم :عبير الطرهوني، بمجلة الرافد الإماراتية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، على الرابط: http://www.arrafid.ae/arrafid/p14_1-2011.html.

أى مكان يتواجد فيه.. إن ذات الفرد تتخارج أو تنطلق كما تحب وهى جالسة فى المقهى مع رفاق يحب صحبتهم ويحب سمرهم.. ربما لا يكون ذلك بشكل مطلق تماما ولكنه السائد وهو الأكثر شيوعا والأكثر ملاحظة"(١).

أم أنه مكان للرأى العام ولادة وتوليدا وبناءا وقياسا.. فلا يمكن بحال من الأحوال تجاهل الحضور الخاص للمقهى فى كل من السياسة والثقافة المصرية، والمقهى مولد وراصد للعديد من نقلات المجتمع وتغيراته، وبين جدرانه ماتت قناعات ثقافية شتى وولدت أخرى، وهذا مما ساهم مساهمة فعالة فى إعادة تشكيل المشهد الداخلى مرارا وتكرارا.

أم لدوره فى التوعية وإنتاج واستهلاك الثقافة وتلاقى الأفكار.. فهو من جهة مكان للتفاعل بين المثقفين، وللحوار بين الأجيال والتثاقف بين المجموعات والتواصل بين الأنماط البشرية، وتفعيل الصداقة، وفضاء تنشيطى تلقائى يساهم فى نشر الثقافة، بل ورافد يؤثر فى توجهات المجتمع الثقافي، لأن رواد المقاهى الثقافية يجتمعون على هم وكذا يفترقون حيث لا يفترقون.. لذا فهو أداة ناجعة لتطوير الحس الأدبى والفنى إلى الحس الإنساني. ومن ناحية أخرى فهو مكان للمطالعة، وذاكرة ثقافية برتبة امتياز، يلتهم منها المبدعون نماذجهم، وهو أيضا مهبط للإلهام الإنساني، لأن المقهى - كما يقولون - ما هو إلا طاولة للكتابة الجماعية، وصالون أدبى شعبي، وملجأ كتابي، قابلة أدبية

(١) جماليات المكان، المقهى عند نجيب محفوظ نموذجا، مرجع سابق، ص١٥٧.

عمومية، وبرج عاجى من الدرجة الثالثة يبث روح الجمال وأحيانا ينتج الفنون(١).

أم لأنه مكان للتواصل بين المشاهير والمغامير.. حيث ينزل مشاهير الأدباء والمثقفين ورجال الأعمال والفنانين وأحيانا الساسة.. إلخ، ينزلون من أبراجهم المعزولة والمنعزلة إلى المقاهى والكازينوهات ليلتقيهم الناس.. فلا مجال لرؤية المشاهير سوى فى منتدياتهم المعهودة، وقد كان الناس يقابلون "نجيب محفوظ" و"محمود السعدني" و"يوسف إدريس" و"الأبنودي" وغيرهم فى المقاهي(٢).. فيختلط المبدع الصغير بالكبير فتُصقل موهبته، والكبير يجد له جمهورا ومؤيدين وتلاميذ فيشرق إبداعا جديدا. حتى وإن لم يدرك الجالس أستاذه فإنه يأخذ من عبق من جلس قبله من رواد المكان، ويزدان بالفخر والشرف والتمنى والحنين للماضى والأسى الإيجابى على فوات الصحبة.

أم لأن المقهى يدعم الانتماء للمدينة بحلوها ومرها بصفته جزءا لا يتجزأ من هوية المدينة وشخصيتها.. فهو صورة مبسطة من الوطن بكل ما يحويه ويحتويه من أفكار واتجاهات وصراعات, لذا فقد تحول المقهى عند كل مهتم بالعلوم الاجتماعية إلى مرآة عاكسة للمجتمع

(١) أنظر بتصرف: مقال بعنوان "المقاهى الأدبية من القرآة خان على الانقراض"، بقلم: ماهر شرف الدين، مجلة القافلة الاليكترونية، السعودية، على الرابط: http://qafilah.com/ar.

(٢) وأنا شخصيا أعتبرها وصفتى السحرية للقاء المشاهير، إذ يكفى أن تعلم مقاهيه المفضلة ومواعيد تواجده لتلتقيه فى حالة من الأريحية والانسجام.. مثل ما حدث بينى وبين عالم الاجتماع السياسى والأديب "د. عمار على حسن" الذى التقيته فى "مقهى النوبي" بالقصر العيني، ومن يومها تشرفت بأننا أصبحنا أصدقاء.

وتعبير عن نبض الشارع واهتمامات الناس ومؤشر لتوجهاتهم وطموحاتهم فى بيئة من الوحدة فى الآمال والآلام.. فمن أراد التعرف على المدن فعليه بالمقاهي. لذا يقول "فتحى عبد السميع": "لا ينعزل المقهى عن المحيط الخارجي، فالقيمة الرمزية للمكان لا تنفصل عن تاريخ المدينة ككل"(١).

أم لأنه الوسيلة المعتمدة فى بساطتها للتواصل الحضارى مع المدينة – بشقى الحضارة؛ المدنى (من المدنيةCIVILIZATION) والثقافى (من الثقافة CULTURE).. إذ كيف يمكن لإنسان أن يتواصل مع مدينة من دون المقاهي، فالمقهى يعتبر همزة وصل محورية بين الريف والمدينة، وبين المدينة الأدنى عمرانيا والمدينة الأعلى، والمقهى جزء من هوية المدينة وشخصيتها. فمثلا المقهى العربى فى الخارج يعتبر وسيلة إعلامية وثقافية غاية فى الخطورة فى موضوع التواصل هذا، مثل "مقهى البرينس" بواشنطن الذى يأوى إليه كل مغترب يريد ببلده وصالا. علما بأن العكس بالعكس صحيح، فأى من سكان المدن إذا سافر إلى الريف؛ إن وجد فيه مقهى يجلس عليه، فإنه يتواصل به مع سكان الريف ويتعرف عليهم وعلى أنماطهم فى التعامل، ونفس الشيء للمغتربين من المدن الأعلى حين حلولهم بالمدن الأدنى. لذا فإن مقياس التحضر عند البعض – من وجهة نظر ما – هو بتوفر عدد مناسب من المقاهى التى يلتقى فيها الناس، ويعتدون بذلك بمدينة "باريس" التى يعدونها عاصمة الثقافة فى العالم،

(١) مقال بعنوان "المقهى فى شجرة الذات"، بقلم: فتحى عبد السميع، مجلة الثقافة الجديدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، مارس ٢٠١٦م، العدد ٣٠٦، ص١٢١.

ويعدونها أيضا "عاصمة المقاهى فى العالم". بل إن بعضهم اعتبر أن "عصر النهضة" فى أوربا وما صاحبه من حركة تنويرية عالمية؛ ما هو إلا إحدى تجليات هاتيك المقاهي.

أم لكل ما سبق؟.. إن كان ذلك كذلك.. فلا ضير فى قول الشاعرة الكبيرة "سعاد الصباح": "القهوة هى أهم اختراعات الإنسان. والذى اخترعها هو بغير شك مصلح اجتماعى عظيم... فبغير القهوة، لم تكن المقاهي، وبغير المقاهى لم يكن الحوار ممكناً، وبغير الحوار كان الإنسان جزيرة معزولة عمّا حولها.. ففى تاريخ الأدب لعب المقهى دوراً مرموقاً فى تجميع الأدباء، والشعراء، والفنانين، والمفكرين، حتى تحوّل المقهى إلى أكاديمية ثقافية. إن عالم "المقاهي" عالم عجائبى حقاً، فمن أراد أن يتكلم فى السياسة يجد فى المقهى مبتغاه.. ومن أراد أن يتكلم فى الأدب يجد فى المقهى مبتغاه.. ومن أراد أن يتكلم مع نفسه، فإن المقهى يؤمن له هذا الحوار الداخلي.. ومن أراد أن يهرب من مشكلة تلاحقه فإن المقهى يمنحه حق اللجوء السياسي. أما العشاق فإنهم يجدون فى المقهى ملجأهم وخيمتهم، فعلى فنجانى قهوة يطيب الهمس، وتحلو النجوى، وتنهمر الاعترافات كقطرات المطر، فكأن نكهة البنّ العابقة من فنجان "الإكسبرسو" تردّ إلى الحب اعتباره، وتعطيه شرعيته. كل شيء يمكن أن يحدث فى المقهى، ابتداءً من الانقلاب العسكري، إلى الخطبة.. إلى الزواج.. إلى تأليف الوزارات.. إلى التنظيرات الأيديولوجية والثقافية. إن الذى اخترع المقهى.. لا يقل فى عبقريته عمن

اختـرع الراديـو، والتلفزيـون، والتلفـون، والتلكـس، والفاكسـميل، والكمبيوتـر، والأقمـار الصناعيـة" (١) .

obeikandl.com

(١) المقاهى الأدبية فى باريس، مرجع سابق، ص١٤٠، ١٤١ باختصار.

المبحث الأول:

تاريخ القهوة.. والمقاهي.. والمقاهى الثقافية

مشروب القهوة هو هدية العالم القديم إلى العالم الجديد.

من مقولات "هدى الزين" في كتاب "المقاهي الأدبية في باريس حكايات وتاريخ".

obeikandl.com

تاريخ القهوة.. والمقاهي.. والمقاهى الثقافية

لما كانت ظاهرة المقاهى الثقافية ظاهرة عالمية تجلت فى القرن الماضى بمدد من القرون السابقة له وبامتداد يتجه صوب المستقبل - مازال ساريا للآن - فقد اهتم بها كثير من الباحثين؛ كل من منظوره.

لكن مما لا شك فيه أن أى مرتاد للُجج بحور "ظاهرة المقاهى الثقافية" فى العالم؛ لا يستطيع بحال من الأحوال التأريخ للظاهرة دون إلقاء بعض من الضوء على "ظاهرة المقاهي" نفسها وظاهرة "القهوة" كمشروب أيضا. لذا فإن من بداهة الاستعراض التاريخى للمقاهى الثقافية، أن يشمل ثلاثة مباحث متشابكة، لا يصعب الفصل بينها وفقط؛ ولكن يصيب المنهجية حين الفصل كثير من العوار والرؤية القاصرة.

والمتتبع لتاريخ المقاهى بشكلها المتعارف عليه يبتدئ دوما من حيث ابتدأ الترافق التام بين المقاهى وظهور مشروب "القهوة" - حتى فى الاسم المشتق منها – لذا فإن كل من يؤرخ للمقاهى يبدأ تاريخه من تاريخ دخول القهوة كمشروب.

ويطلق على مكان شرب القهوة كمشروب نفس الاسم "القهوة"، وتجمع بشكل صحيح بقولهم "القهاوي" كلفظ راجح لغويا، وكذا بشكل أقل فصاحة بقولهم "المقاهي" كجمع لكلمة "المقهى"، وهو اللفظ الذى ستعتمده الدراسة رغم أنه المرجوح، وذلك للتفرقة المنهجية بين القهوة كمشروب والقهوة كمكان(١). رغم أن اللغات الأخرى – المشتقة من اللاتينية مثالا – تستخدم لفظ "القهوة" كمشروب ومكان بقولهم "كافيه".. أو "كاويه".. أو "كافا" الإيطالية.. أو "كاوا" التركية المشتقة من الكلمة العربية "القهوة".

إذ أن الباحث فى تاريخ القهوة سيجد أن البلد الذى اكتشفت فيه القهوة مختلف عليه، فمن قائل: اليمن، وآخر: أثيوبيا، وثالث: تركيا.. وأيا ما كان؛ فإن المتفق عليه: أنها اكتشفت فى الشرق ثم انتشرت فى أوروبا ثم الغرب كله(٢). بل إن هذا مما دفع البعض للقول: "بأن القهوة هدية العالم القديم إلى العالم الجديد"(٣).

ولما حاول الأستاذ "جمال الغيطاني" تتبع العمق التاريخى الدقيق لظاهرة المقاهي؛ توصل إلى أنه لا يوجد مرجع تاريخى يحدد هذا، ولم تخصص دراسة لرصد تضاريس هذا العالم المتكامل.. وتوصل أيضا إلى أن المقهى كان جزءا من الحياة فى القاهرة القديمة (٤). كما قرر حقيقة مهمة تفيد بوجود المقاهى قبل دخول مشروب القهوة مصر

(١) أنظر: شميس، عبد المنعم، قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، دار المعارف، مصر، ص١١.

(٢) المقاهى فى تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص١٣.

(٣) المقاهى الأدبية فى باريس، ص١٦.

(٤) الغيطاني، جمال، ملامح القاهرة فى ألف عام، نهضة مصر، مصر، ط١، ١٩٩٧م، ص٣.

على يد المتصوف الشهير بـ"العيدروس" فى (٩٠٥هـ)؛ لكنها كانت تقدم أنواعا أخرى من المشروبات(١).

وقد أورد الأمريكى "ستيوارت لى آلن" فى كتابه "القهوة: القوة المحركة للتاريخ"(٢) أن القهوة قد اكتشفت منذ حوالى ألف عام فى أثيوبيا، وكانت تستخدم مطبوخة أكلا لا مُحتساه شربا(٣). ثم انتقلت إلى مدينة "المخا" اليمنية (ومنها تسمية "موكا")، وفيها أول استعمال للقهوة كمشروب، لكنها كان لونها ذهبيا باهتا لأنها لا تُحمص بل تصنع نيئة، ومازالت القهوة العربية إلى الآن تُستعمل بنفس الطريقة. ومن اليمن انتشرت إلى العديد من البلدان: مصر عن طريق الطلبة اليمنيين فى رواق الأزهر، وتركيا عن طريق اسطنبول، والهند عن طريق رجل هندى مسلم صوفى يدعى "بابا بودان" حين قام بتهريب حبوب القهوة الممنوعة من مكة إلى الهند أثناء حجه(٤).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الصادر عن دار "سوهو برس انكوربوريشن" للنشر بنيويورك، وهو من القطع الصغير ويضم ٢٣١ صفحة، متناولاً تاريخ القهوة ابتداء من اكتشافها فى أثيوبيا ومن ثم انتقالها الى اليمن فالهند والى هيمنة الإمبراطورية العثمانية عليها ومن بعد ذلك تأثيرها الفعال فى دول أوروبا.

(٣) هناك تردد فى حادثة اكتشاف القهوة، حيث يوجد روايات وحكايات وأساطير أخرى منها ما ذكره "ستيوارت لى ألن": "لاحظ راعى غنم أثيوبى أن أحد عنزاته أخذت تتراقص و"تمأيء" بصور هيستيرية.. ولاحظ الراعى أن الأمر يتكرر كلما تناولت العنزة ثمرة معينة، فما كان منه إلا أن وضع حدا لفضوله وقام بتجريب "الثمرة" الغريبة فإذا بنشاط مفاجئ ينتابه كلما تناولها.. وكان للراعى "عم" متصوف يقضى ليله متعبدا، فقدم له الراعى تلك الثمرة فتناولها المتصوف فإذا بها تبقيه يقظا وتمنع عنه النعاس، فراح يقدمها لمريديه، فذاعت شهرة هذا الحكيم الذى توقظ حكمته تابعيه طول الليل" (انظر: سعيد، مكاوي، مقتنيات وسط البلد، دار الشروق، مصر، ط٢، ٢٠١٠م، ص٤٠٣)

(٤) عرض ومناقشة كتاب "القهوة: القوة المحركة للتاريخ"، بمجلة العربى الحر الإليكترونية، بقلم: رشا المالح، على الرابط: http://www.freearabi.com

أولا : التسلسل التاريخى للقهوة والمقاهى فى العالم :

.. وفى التالي.. رصد لكثير مما ورد فى تراث المقاهى تاريخيا :

فـى القـرن الثالـث عشـر الميـلادى (السـابع هجريـا) : يـروى أن نبـات "القهـوة" اكتشـفه متعبـد يسـمى الشـيخ "عمـر" دفعـه الاضطهـاد إلـى أحـد جبـال اليمـن مـع بعـض أتباعـه، وحملـه الجـوع أن يشـرب منقـوع البـن الـذى ينبـت هنـاك بالطبيعـة. غيـر أن اسـتعمال البـن لـم ينتشـر فـى اليمـن إلا بعـد هـذا الزمـن بجيلـين (١).

فـى القـرن الرابـع عشـر الميـلادى (الثامـن هجريـا) : فـى كتـاب "القانـون فـى الطـب" لـ"ابـن سـينا"؛ ذُكـرت القهـوة فـى لائحـة الأدويـة الخاصـة بـه.

فـى أواخـر القـرن الخامـس عشـر الميـلادي: اسـتوردت مصـر البـن، وكان يعكـف علـى تناولـه بكثـرة بعـض رواد الأزهـر، خاصـة مـن فقـراء اليمـن ومكـة والمدينـة، الذيـن وجـدوا فيـه منشـطا علـى العبـادة والتسـبيح (٢). وقـد رُصـد العديـد مـن المقاهـى بخـط جامـع "عمـرو بـن العـاص" بعـد شـيوع شـرب القهـوة بالمدينـة، وقـد امتلـك الجامـع العديـد منهـا فـى صـورة أوقـاف مـن جانـب أهـل البـر(٣).

(١) لين، إدوارد وليم، المصريون المحدثون، ترجمة: عدلى أنور طاهر، مكتبة الأسرة، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٣م، ص٢٨٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أبو الروس، خالد، حكاية حى مصر القديمة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص٥٥.

فـى أوائـل القـرن السـادس عشـر الميـلادي: أدخـل السـلطان "سـليم الأول" القهـوة إلـى اسـطنبول سـنة (١٥١٧م)، لكنهـا لـم تنتشـر بشـكل كبيـر(١).

فـى القـرن السـادس عشـر الميـلادي: أدخـل البـن إلـى الأسـتانة بشـكل منظـم. وأثارت القهـوة منازعـات حـادة بـين المتعبديـن والمتعلمـين فـى جزيـرة العـرب ومصـر والأسـتانة. فـكان كثيـر مـن العلمـاء يؤكـد أن القهـوة لهـا خصائـص مسـكرة، فتحـرم علـى المسـلمين، بينمـا كان آخـرون يقـررون أن للقهـوة فضائـل، إحداهـا مقاومـة النـوم، فتكـون عونـا قويـا للأتقيـاء علـى عبادتهـم ليـلا. وكثيـرا مـا كان بيـع البـن حينئـذ يحـرم ويحلـل حسـب رأى الحاكـم. أمـا الآن فيقـول جميـع المسـلمين تقريبـا - بحـل القهـوة ويفرطـون فـى اسـتعمالها حـتى الوهابيـون(٢).

فـى القـرن السـادس عشـر الميـلادى أيضـا: افتتـح أول مقهـى فـى بغـداد (١٥٩٠م) حامـلا اسـم "مقهـى خـان جغـان"، ومـما ينقـل عـن أحـد المستشـرقين أنـه قـال عـن بغـداد القديمـة خـلال الحكـم العثمانـي: "إن فـى بغـداد بـين مقهـى ومقهـى.. مقهـى"(٣). إلا أنـه يوجـد مـن الإثباتـات المكتوبـة مـا يدعـم فرضيـة مـا تقـول أن فكـرة إقامـة "بيـت للقهـوة" ولـدت فـى اليمـن السـعيد، إلا أن تكريـس هـذه الظاهـرة بـدأ فعـلاً فـى الإمبراطوريـة العثمانيـة، حيـث كانـت تعـرف تلـك المقاهـى بـ"القـراءة

(١) عبد الحليم، عيد، حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص١٨.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨٩، ٢٩٠.

(٣) انظر: مقال بعنوان "المقهى فى العالم العربي"، بقلم: عبير الطرهوني، مجلة الرافد الإماراتية، الصادرة عن دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، على الرابط ٧ http://www.arrafid.ae/arrafid/p14_12011-.html.

خان"، أى المكان الذى تقرأ فيه الكتب والمجلات (١) .

فى القرن السابع عشر الميلادي: شاع اعتقاد فى تركيا بقدرة القهوة على الشفاء من الأمراض إلى الحد الذى يروى معه السير "هنرى بلونت" الذى زار المنطقة فى ذلك الوقت أنه: "عندما يقع أحد الأتراك فريسة للمرض فإنه يسارع بتناول القهوة، فإن لم تأت بنتيجة فإنه يكتب وصيته ولا يفكر فى شيء آخر" (٢) .

فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى فى أوربا: تعرف الأوربيون على القهوة بعد انسحاب الأتراك من حصارهم لمدينة فيينا بعد أن خلفت القوات التركية أكياسا من القهوة عندما انسحبوا من حصارهم لها، بعد ذلك افتتن الأوربيون بالقهوة وصاروا يستوردونها ويشترونها بكميات كبيرة. ويقولون بأن أول مقهى افتتح فى أوربا فى جامعة أكسفورد (١٦٥٠م)، حيث كان الرواد يتناولون القهوة خلال تبادل الأحاديث والقراءة والكتابة (٣) ، ثم انتشر الأمر فى كافة أنحاء لندن. ويذكر المؤرخ "جيمس هويل" بأنه كان فى سنة (١٦٥٢م) مقهى واحد للقهوة فى لندن وفى سنة (١٧٠٠م) وصل عدد المقاهى إلى ٢٠٠ مقهى (٤) . ويقولون أيضا أن أول مقهى فى أوربا كان بمدينة "باليرمو" الايطالية (٥) .

(١) مقال بعنوان "رحلة مع مقاهى بغداد"، على الرابط الإليكتروني:
http://www.ahraraliraq.com/index.php?page=article&id=20562

(٢) مقتنيات وسط البلد، مرجع سابق، ص٤٠٣.

(٣) حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، مرجع سابق، ٢٠١٤م، ص١٨.

(٤) عرض ومناقشة كتاب "القهوة: القوة المحركة للتاريخ"، مرجع سابق.

(٥) الذوادي، عبد الرشيد، مقاهى الأدباء فى الوطن العربي، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨م، ص٥٨.

فى القرن الثامن عشر الميلادي: دخلت القهوة إلى أمريكا عن طريق الكابتن "جون سميث"، والبعض يؤكد دخولها إلى كندا أولا (١).

أما فى القرن التاسع عشر الميلادي:

.. فالأمر به بعض التفاصيل:

فقد تحدث المؤرخ "عبد الرحمن الجبرتي" عن مقاهى القاهرة أيضا، والتى كانت تقدم ألوانا متعددة من الفنون (٢).

ووصل إلينا أول وصف للمقاهى فى مصر بكتاب المستشرق الانجليزى "إدوارد وليم لين" فى كتابه "المصريون المحدثون" الذى يقول: "فى القاهرة أكثر من ألف قهوة والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود. ويقوم على طول الواجهة ما عدا المدخل مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثة وعرضها كذلك تقريبا، وفى داخل المقهى مقاعد متشابهة على جانبين أو ثلاثة" (٣) .. ويصف المؤلف كذلك مجالس الحكواتى والسير الشعبية قائلا: "فالقصاص يغشون مقاهى القاهرة وغيرها من المدن، فى ليالى الأعياد الدينية خاصة، ويسامرون الناس ببراعة تجذب القلوب. يجلس القاص فوق مقعد صغير فى أعلى المصطبة، المقامة بطول واجهة المقهى. ويجلس بعض السامعين إلى

(١) المقاهى فى تاريخ الأدب، ص١٥.

(٢) قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، مرجع سابق، ص١٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩.

جانبه، بينما يجلس البعض الآخر على مصاطب المنازل المقابلة فى الشارع الضيق، والباقون على مقاعد من الجريد. وأكثرهم يدخن الشبك، وبعضهم يرتشف القهوة، وهم جميعا يبتهجون أعظم الابتهاج بسماع القاص لقوة تمثيله، ولموضوع القصة" (١).

وورد فى كتاب "وصف مصر" الذى أعدته الحملة الفرنسية وكان فيه جزء عن المقاهى فى زمن الحملة وجاء فيه: "تضم مدينة القاهرة حوالى ١٢٠٠ مقهى بخلاف مقاهى مصر القديمة وبولاق، حيث تضم مصر القديمة ٥٠ مقهى، أما بولاق فيبلغ تعداد مقاهيها المائة. وليست لهذه المبانى أية علاقة بالمبانى التى لها نفس الاسم فى فرنسا إلا من حيث استهلاك البن على الرغم من أن هذا المشروب يعد ويشرب بطريقة مختلفة، فليس فى هذه المبانى أثاثات على الإطلاق، وليس ثمة مرايا أو ديكورات داخلية أو خارجية فقط ثمة منصات "دكة" خشبية تشكل نوعاً من المقاعد الدائرية بطول جدران المبنى، وكذلك بعض الحصر من سعف النخيل، أو أبسطة خشنة الذوق فى المقاهى الأكثر فخامة بالإضافة إلى بنك خشبى عادى بالغ البساطة" (٢).

كما رصد الكتاب ظاهرة "الحكواتي" والإنشاد فى المقاهى فى كتاب "وصف مصر" على النحو التالي: "يوجد فى كل مقهى عدد من الرواة والمنشدين يحكون أو يغنون حكاية صحيحة أو وهمية عن شخصية خارقة ورد اسمها فى النصوص الدينية أو التاريخ الإسلامي، ويكون الإلقاء عادة حيا مليئا بالقوة والحيوية، كما أن الأغنيات تمتلئ

(١) المصريون المحدثون، مرجع سابق، ص٣٣٧.

(٢) موسوعة وصف مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٣م، ج١، ص١٣٨.

بعبق الشعر ووهجه، وتكون نغمة الحكى مرتفعة أما نغمة الحوار فمتوسطة، ويتوقف الراوى فى معظم الأحيان ليسأل مستمعيه عما أن كانوا يشكون فى صحة حكاية أو ما إن كانت الحكاية فى مجملها - جميلة أو خيرة، ويزيد منشدو المقاهى هؤلاء حكاياتهم حيوية عن طريق حركات بالغة التعبير، ويصحبونها أو يسقونها بموسيقى غريبة تصدر عن آلة موسيقية وترية" (١) .. وقد لاحظ مؤلف الكتاب أن الطبقات العليا لا تبيح جلسات المقاهي.

وفى القرن التاسع عشر فى أوربا: بدأت المقاهى بالانتشار بفيينا أو ما يسمى بـ"بيوت القهوة" التى صارت تقدم لعامة الناس بعد أن كانت مقتصرة على أفراد الطبقة العليا ويرجع الفضل فى ذلك إلى حاكم المدينة آنذاك "كيزرفرانس جوزيف" الذى كان يعشق القهوة ويشربها بشراهة، وانتشرت بعدها المقاهى بشكل واسع فى شوارع المدن الأوربية (٢) .

كانت مقاهى حى الحسين بعد موقعة "مرج دابق" بزمن مركزا من مراكز تجمع نساخ المصاحف من خطاطين ورسامين ومذهبين ومزخرفين ومجلدين.. إلخ.. وكلهم ممن لا يمتلكون ورشا. ولم يقتصر الأمر على نسخ المصاحف فحسب بل امتد إلى نسخ الكتب المخطوطة كما ذكر المستشرق "ادوارد وليم لين". وقد ورد أنه فى هذا الجو كانت تتردد داخل تلك المقاهى المناقشات الأدبية الثرية (٣) .

(١) المرجع السابق، ص١٣٩، ١٤٠.

(٢) مقال بعنوان "رحلة مع مقاهى بغداد"، مرجع سابق.

(٣) قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، ص٤٦، ٤٧.

كما جاء ذكر مجموعة من المقاهى بالقرب من جامع الأزهر، ومنها قهوة "أفندية" التى جاء ذكرها فى خطاب لـ"عبد الله باشا فكري" وزير المعارف فى أثناء الثورة العرابية فى سنة ١٢٨٨هـ "١٨٧٠م" (١). قد أحصى "على باشا مبارك" عدد القهاوى فى القاهرة حوالى سنة (١٨٨٠م)، فكان عددها ١٠٦٧ قهوة، وكان أكبر عدد من هذه القهاوى فى قسم الأزبكية حيث بلغت ٢٥٢ قهوة (٢).

ويذكر أن بعض مقاهى القاهرة فى هذه الفترة كان له بعض الاختصاصات، فمنها "قهوة المنجدين" فى حى باب اللوق، ومنها فى حى القلعة قهاوى خاصة لكل طائفة من طوائف عمال المعمار مثل البنائين والمبلطين والمبيضين وغيرهم.

ولما زحفت المدنية كانت البيوت تضيق بالاجتماعات ومقابلات المثقفين والسياسيين، مما أعلى من شأن الندوات واللقاءات والسجالات فى المقاهي, وكان من أشهر هذه المنتديات منتدى الشيخ الثائر "جمال الدين الأفغاني" الذى كان يقابل فيه رفاقه وتلاميذه ومريديه على "مقهى البوسطة" بوسط البلد الذى تغير اسمه إلى "مقهى متاتيا". وكانت مقاهى حى الحسين والأزهر مخصصة لأهل العلم والأدب والفن، وقد عرفت منها "قهوة الفيشاوي"، و"قهوة شعبان" (٣).

(١) المرجع السابق، ص٣٥: ٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٥.

(٣) أنظر: المرجع السابق، ص٤٨.

فى بداية القرن العشرين الميلادي: توالى ذكر المقاهى الواحد تلو الآخر، إذ يُعد القرن العشرون هو قرن المقاهي، وخاصة الثقافى منها بلا منازع.

فى أوائل سنة (٢٠١٥م) تبعا للدراسات الإحصائية تعدت المقاهى بشكل عام حاجز الخمسين ألف مقهى (١) ، لكنه من المؤكد أن الدراسات لم تحص عدد مقاهى الفكر والثقافة حتى لحظات كتابة هذا المؤلف.

ثانيا: تاريخ ظاهرة المنتديات الأدبية فى العالم العربي:

والمقاهى الثقافية كمنتدى أدبى هى ظاهرة قديمة قدم التاريخ، تتعدد أسماؤها تنوعا بتعدد النقط المرورية للزمان والمكان.

ففى تاريخ العرب القديم عُرفت منتديات ثقافية، منها الدائم مثل "دار الندوة" ومنها الموسمى مثل منتدى "سوق عكاظ"، أما فى التاريخ الأقل قدما؛ فأية مراجعة طفيفة لما ورد فى كتاب "الإمتاع والمؤانسة" لأبى حيان التوحيدى (٢) نجد أن الكتاب ما هو إلا ثمرة لمجالس السمر مع الوزير "أبى عبد الله العارض" تحوى سبعة وثلاثين ليلة من الليالى التى تشبه المنتديات الثقافية.

ومن الثابت أن هذه المجالس لم تنقطع طوال التاريخ لكنها كانت

(١) مقال بعنوان "يسألونك عن المقهى"، بقلم: سومية أبو عامرية، مجلة الثقافة الجديدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، مارس ٢٠١٦م، العدد ٣٠٦، ص١٤٩.

(٢) من أعلام القرن الرابع الهجري.

تأخذ أشكالا تختلف باختلاف البيئات وكذا اختلافات الأزمنة مع احتفاظها بمسمى واحد مفهوما، فمثلا "المنتدى الثقافي" أو "المنتدى الاجتماعي" أو "المنتدى الأدبي".. إلخ، وكل ما سبق لا يخرج عما تقوم به المقاهى عبر العصور..

.. ومن مظاهر ذلك:

أورد الزجاجى فى كتابه "مجالس العلماء" أمثلة عديدة جرى فيها مجالس أدبية مثل ما حدث فى "مجلس الرشيد" بين "سيبويه" و"الكسائي"، وكذا ما أشار إليه المسعودى فى كتابه "مروج الذهب" عن "مجلس يحيى بن خالد البرمكي" وحوارات الأدباء والمتكلمين والمتفلسفين (١) .

ما ورد عن "الملك الناصر" وابنه "الحكم" فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى من عقد الندوات الأدبية فى قصره (٢) .

ما ورد عن الخليفة "الكامل الأيوبي" من رعايته للأدباء والعلماء والشعراء، وممن عاش فى كنفه شاعر المتصوفة الأشهر "ابن الفارض" (٣) .

فى العصر المملوكى كانت السفن العائمة هى المكان المعتاد للأنشطة الثقافية والفنية، حتى إن الشعراء فى عصر المماليك، وحتى عصر

(١) مقاهى الأدباء فى الوطن العربي، مرجع سابق، ص٢١.

(٢) المرجع السابق، ص١٦.

(٣) المرجع السابق.

محمد علي، كانوا يجمعون قصائدهم الغنائية فى مجموعات، يطلقون عليها اسم "السفينة" وكان أشهرها "سفينة شهاب" المشهورة إبان حكم محمد على (١) .

وأول صالون بالعالم العربى على وجه التقريب- فى العصر الحديث "صالون الأميرة نازلى فاضل" ابنة "الأمير مصطفى فاضل" ولى العهد لأخيه "الخديوى إسماعيل" الذى كانت مكتبته الزاخرة نواة لدار الكتب المصرية. ومن أشهر رواده: "الإمام محمد عبده" و"الشيخ عبد الكريم سلمان" و"سعد زغلول" و"قاسم أمين" و"إبراهيم اللقاني".. وآخرون. بل إن هذا الصالون كان له فرع تابع فى تونس الخضراء (٢) .

فى أوائل القرن العشرين تأسس فى حلب صالون "مريانا مراش"، وفى الإسكندرية صالون "الأميرة الكسندرة الخوري"، وصالون "سكينة الأدبي" لصاحبته "ثريا الحافظ" ومؤسسته الشاعرة "والأديبة اللبنانية "لبيبة صدقي"، وصالون "وردة اليازجي" بالإسكندرية أيضا، لكن كان أشهر صالونات تلك الفترة هو صالون الأديبة "مى زيادة" (١٨٨٦م: ١٩٤١م) والذى استمر حتى نهاية الثلاثينيات. ومن رواده: "الشيخ على عبد الرازق" و"عباس محمود العقاد" و"أحمد شوقي" و"أحمد لطفى السيد" و"الشيخ رشيد رضا" وشيخ العروبة "أحمد باشا زكي" و"إبراهيم المازني" و"خليل

(١) قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، ص١٢.

(٢) مقاهى الأدباء فى الوطن العربي، ص٣٠، ٣١.

مطـران" .. وآخـرون (١) .

ومـن أبـرز وأقـوى صالونـات النصـف الأول مـن القـرن العشـرين صالـون "كامـل كيلانـى الأدبـي" بالقاهـرة، وهـو أحـد ألمع أدبـاء العـرب فـى عصـره ورائـد أدب الأطفـال. ومـن رواد صالونـه كثيـر مـن الأدبـاء والشـعراء والمستشـرقين والـوزراء والسياسـيين؛ رغـم تواضـع مـكان وأثـاث الصالـون (٢) . وكـذا صالـون الأديـب الكبيـر "عبـاس محمـود العقـاد" الـذى أرخ لـه غيـر واحـد، وأشـهرهم "أ. أنيـس منصـور" فـى كتابـه الشـهير "فـى صالـون العقـاد.. كانـت لنـا أيـام". وصالـون الأديـب الكبيـر "محمـود تيمـور" الـذى كان بأحـد المطاعـم بالقاهـرة "مطعـم الشـيمي" (٣) .

كمـا ظهـرت صالونـات الجماعـات مثـل "صالـون جماعـة أبولـو" والـذى تأسـس قبـل صـدور مجلتهـم "أبولـو" سـنة (١٩٣١م)، والـذى أسسـه "أ. أحمـد زكـى أبـو شـادي" وهـو منتـدى يعبـر عـن دعـاة النزعـة التجديديـة فـى الأدب مثـل: "خليـل مطـران" و"كامـل الشـناوي" و"علـى أحمـد باكثيـر" و"أحمـد محـرم" و"زكـى مبـارك" و"كامـل كيلانـي" و"حسـن كامـل الصيرفـي". وأيضـا "صالـون المقتطـف" الـذى يتبـع "مجلـة المقتطـف" اللبنانيـة الـتى انتقلـت إلـى القاهـرة وتأسـس الصالـون بـإدارة العلامـة "أحمـد فهـمى أبـو الخيـر"، وقـد كان مـن رواده: "د. شـوقى ضيـف" و"سـلامة موسـى" و"محمـود أبـو الوفـا" وآخـرون، وقـد اسـتمر

(١) المرجع السابق، ص ٣٠: ٤٣، باختصار.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢، ٤٣، باختصار.

(٣) المرجع السابق، ص٤٧.

الصالـون إلـى نهايـات (١٩٥٢م). وكـذا "صالـون رابطـة الأدب الحديـث" بالقاهـرة بإشـراف "د. محمـد عبـد المنعـم خفاجـي"، كمـا أصـدرت هـذه الرابطـة "مجلـة الحضـارة" ومئـات المنشـورات الأدبيـة((١)).

كمـا تأسسـت بتونـس الخضـراء فـى العصـر الحديـث عـدة أنديـة أدبيـة وفكريـة منهـا: "نـادى ويليـام مـرسي" و"منتـدى خميـس القبائلـي" و"منتـدى العنابـي" و"المنتـدى الأدبـى لقدمـاء الصادقيـة" و"منتـدى العربـى الكبـادي" و"منتـدى الخلدونيـة" و"منتـدى الرشـيدية" و"منتـدى القصـة"((٢)).

ثالثا: مؤلفات عن القهوة.. والمقاهي.. والمقاهى الثقافية:

وهنـا ذكـر لأهـم الكتـب الـتى تكلمـت عـن القهـوة والمقاهـي، ومنهـا مـا اهتـم بالمقاهـى الثقافيـة علـى وجـه الخصـوص:

"فـى الأدب والقهوة".. "عبد المعطى المسـيري".

"أقاصيص مـن القهوة".. "عبد المعطى المسـيري".

"على رصيـف القهوة".. "عبد المعطى المسـيري"

"ملامح القاهرة فى ألف سـنة".. "جمـال الغيطاني".

"حرائق الـكلام فى مقاهـى القاهرة".. "محمـد عبد الواحد".

"مما جرى فى بر مصر".. "يوسـف الشـريف".

"خبايـا القاهـرة".. "أحمـد محفـوظ".. وهـو كاتـب مجهـول

(١) المرجع السابق، ص٤٨: ٥٠

(٢) المرجع السابق، ١٥: ٥٣.

الهوية.

"مسافر على الرصيف".. "محمود السعدني".

"على مقهى الحياة".. "سمير سرحان".

"مع الرواد".. "نعمان عاشور".

"قهاوى الأدب والفن".. "عبد المنعم شميس".

"المقاهى فى تاريخ الأدب".. "صلاح محمد عبد الحميد".

"حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش".. "عيد عبد الحليم".

"مقتنيات وسط البلد".. "مكاوى سعيد".

"جماليات المكان، المقهى عند نجيب محفوظ نموذجا"..

"حسن يوسف طه مصطفى".

"مقاهى الأدباء فى الوطن العربي".. "رشيد الذوادي".

"المقاهى الأدبية من القاهرة إلى باريس".. "جيرار. جورج لومير" (١).

"مقاهى الشرق".. "جورج ليمر".. بمقدمة "جمال الغيطاني".

"من التاريخ الثقافى للقهوة والمقاهي".. "محمد الأرناؤط".

"تاريخ مقاهى بغداد القديمة".. "زين النقشبندي".

"المقاهى الأدبية فى باريس حكايات وتاريخ".. "هدى الزين".

"القهوة والمقاهى فى الشرق".. دراسة ميدانية.. "رالف هاتوكس".

"الصلة بين القهوة العربية والمؤسسة الثقافية الفرنسية

(١) واسم الكتاب الحقيقي: "ولادة شغب – الآلهة السوداء فى باريس".

obeikandl.com

لوكافيه" .. دراسة ميدانية .. "إلينور دى أرتوز" .
"القهوة: القوة المحركة للتاريخ" .. "ستيوات لى آلن" .
"فى قهوة ع المفرق" .. "أميرة السيد مكاوي" .

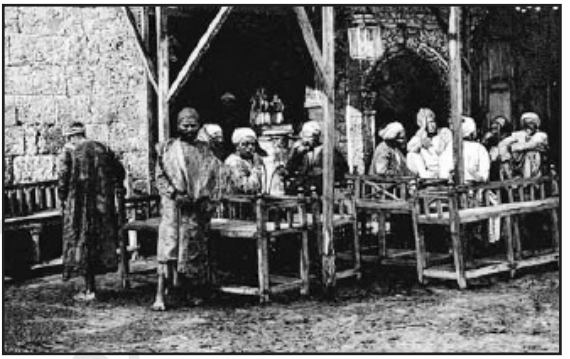

.. المقهى البلدى فى القرن التاسع عشر..

obeikandl.com

المبحث الثاني:
أنشطة وآداب وفنون المقاهي

ولعل أشهر أسخف نكتة فى العالم هي: "مرة واحد جه يقعد على القهوة قعد على الشاي.."

من مقولات "عبد المنعم شميس" فى كتاب "قهاوى الأدب والفن فى القاهرة".

obeikandl.com

أنشطة وآداب وفنون المقاهي

يقصد هنا الرصد للأنشطة المتعلقة بالمقاهي، وهل اشتملت على شكل من أشكال الآداب والفنون سواءً كان ذلك فى الماضى واندثر، أو فى الماضى وله امتداد فى الحاضر، أو فى حالة من حالات الشهود فى الحاضر، أو فى حالة مستحدثة ويمكن استشراف بعض من ملامحها فى المستقبل.

وقد تكلم غير واحد من دارسى العلوم الاجتماعية عن اعتمادهم للمقهى مؤشراً دالاً على حالة ووضع المؤسسات الثقافية فى الدولة، بل ووسع البعض منهم دائرة الرصد باعتبار أن المقهى مؤشر على الحالة التى كانت عليها اللحظة التاريخية التى مرت على مجتمع ما؛ لأن المقاهى وفق هذا التصور قد أمست مؤشراً حساساً على الحياة الاجتماعية والسياسية والنفسية والجمالية والثقافية بله والحضارية للمجتمع، مما دعا البعض لاعتبار المقهى: "صورة مصغرة من المجتمع فى لحظة ما".

فالمقاهى إذن - وفق التصور السابق - تصلح لأن تكون مرصدا للمقارنة بين جيلين أو أكثر، كأن يتم تتبع أنشطة المقاهى فى جيل ما ومقارنته بالجيل الذى يليه أو حتى غيره من الأجيال، مما

يساعد فى تفهم صورة المجتمع وسلامته، بل ويساهم أيضا فى رصد تطورات الصيرورة التاريخية بأكملها.

وبرصد أنشطة المقاهى سنجد أن هناك بعضها كان موجودا فى الماضى وممتد وجودا إلى الآن؛ مثل: أنشطة الموسيقى والغناء، وحفلات السمر وخاصة أنشطة الخيم الرمضانية، والإنشاد الدينى والإنشاد الشعري، الندوات واللقاءات الثقافية والمباريات الشعرية، ومعارض الفنون التشكيلية، ومباريات التنكيت، وألعاب التسلية والحظ والمراهنات: مثل "لعبة الدومينو" و"النرد أو الطاولة" و"ألعاب الورق أو الكوتشينة" و"الشطرنح" بمسابقاته و"السيجة" فى بعض المناطق التى تحتفظ بتراثها عبر الأزمان.

وسنجد أيضا بعض الأنشطة مستمرا، لكنه فى طريقه للانقراض؛ مثل: الحكواتي، والملاحم والسير الشعبية، وفن القافية، وفن الأرغول، وخيال الظل، القرة كوز.. أو "الكراكوز".. أو "الأراجواز".

وسنجد بعضها كذلك قد اندثر بالفعل؛ مثل: فنون "الأدباتي، وفنون "بتوع رمز".

وسنجد أنشطة جديدة اقتضاها التطور التاريخى لاستخدامات المقاهي؛ مثل: الألعاب الإليكترونية والفيديو جيم، والبلياردو، وأحيانا "تنس الطاولة"، وألعاب أخرى.

.. وفى التالى عرض لبعض هذه الفنون والأنشطة

أولا: فنون الأدباتية:

"التى يقدمها بعض أصحاب المواهب الأدبية من المهرجين بأسلوب زجلى مرتجل يتناول الحياة العامة بالسخرية، والنقد والتجريح، فى كثير من الأحيان؛ لذا فهى غالبا ما تستخدم فى المعارضة السياسية أو النقد الاجتماعي. وتبدأ غالبا بجملة مشهورة يقول فيها الأدباء عادة: "أنا الأديب الأدباتي.."؛ ثم يروى بعد ذلك حكايته على أنغام طبلة صغيرة يدق عليها بقطعة من الجلد، وكان "عبد الله النديم" أشهر أدباتى فى مصر فى الجيل الماضي، وكان يحكى حكاياته فى مجلس "المنشاوى باشا" فى طنطا - الصديق المقرب للزعيم "أحمد عرابي"- عندما كان هذا الباشا كبير أعيان تلك المدينة، وكان من أشد المعجبين بالأدباتى "عبد الله النديم" الذى أصبح فيما بعد خطيب الثورة العرابية" (١).

ومن أشهر عباراتهم قولهم: "شرم برم .. حالى غلبان".. وكان الأدباتى يستطيع التعبير عن رأى الشعب بطريقة غامضة غالباً، لكنها مفهومة للجمهور المتابع حتى لا يتعرض الأدباتى للمسئولية أمام السلطات المستبدة (٢) .

ثانيا: فن الأرغول:

وصاحب الأرغول هو الذى يحكى الحكايات الزجلية أيضاً، مبتدئاً بالعبارة المشهورة: "الأولة آه.. والثانية آه.. والثالثة أه".. ويقال: إن "بيرم التونسي" أول من كتب الأرغول ثم قلده زجالون آخرون فى هذا

(١) () قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، ص١٩، ٢٠.

(٢) () المرجع السابق، ص٩٢، بتصرف.

الفن. لكن "عبد المنعم شميس" له رأى آخر هو أن "فن الأرغول من الفنون الشعبية القديمة التى كانت تقال ارتجالا فى القهاوي، ولكن "بيرم التونسي" جعلها فناً مكتوباً منذ (١٩٢٤م)، عندما كان فى مرسيليا يشتغل مع الشيالين هناك، وهناك "لجنة ملنر" فى القاهرة تعد لإصدار تصريح "٢٨ فبراير" الشهير، فكتب بيرم على الأرغول:

الأولة آه.. والتانية آه.. والتالتة آه
الأولة.. بالبنادق سكتوا الثوار
والتانية.. جا اللورد ملنر يربط الأحرار
والتالتة.. تصريح فى فبراير وأصله هزار
الأولة.. بالبنادق سكتوا الثوار ومدافع
والتانية.. جا ملنر يربط الأحار ويترافع
والتالتة.. تصريح فى فبراير وأصله هزار ومش نافع
الأولة.. بالبنادق سكتوا الثوار ومدافع آه فاضلين
والتانية.. جا ملنر يربط الأحار ويترافع عن الغايبين
والتالتة.. تصريح فى فبراير وأصله هزار ومش نافع وقولوا آمين
الأوله.. مين يمزق حجة الطالب فى دين مغلوب
والتانية.. مين يمنع حجة الغالب عن المغلوب
والتالتة.. تسلب ولكن قال لنا السالب أنا المسلوب
الأولة آه.. والتانية آه.. والتالتة آه..

وقد استطاع "بيرم التونسي" نقل فن الأرغول إلى غناء "أم كلثوم" فى أغنية شهيرة من أغانيها، وقول بيرم على الأرغول فى هذه الأغنية:

الأولة.. فى الغرام والحب شبكوني
والتانية.. بالامتثال والصبر أمروني
والتالتة من غير ميعاد راحوا وفاتوني"(١).

ثالثا: ألعاب خيال الظل:

وهو فن شبه مسرحى يقال: إن جذوره تنتمى إلى بلاد الصين، ثم انتقل إلى العرب عبر المغول، وقد اشتهر فى أيام العباسيين وكان موجودا أيام الفاطميين، وتُقدم عروضه فى المقاهى والأماكن العامة، ويعتمد على عرائس من القماش يتم تحريكها وراء ستار من القماش الأبيض، مما يجعل ظلها هو الذى يبرز للمشاهدين. وكانت المقاهى تعرض تلك العروض كل ليلة عبر قصص الحكواتي. وقد ذكر بعض الدارسين من الأجانب أن هذا الفن هو أساس "فن السينما"(٢).

رابعا: "الأراجوز":

أو "القرة كوز".. وهو أحد الأشكال التمثيلية التى تنتمى إلى ما يعرف بـ"مسرح العرائس"، وهو عبارة عن دمية قفاز تُلبس فى اليد، ويعتمد على الفكاهة والقفشات غالبا، بل على الارتجالية فى التمثيل أحيانا كثيرة، ولصغر المسرح الذى يحتاج مساحة بسيطة (٣). ويقال: إن الاسم "قراقوز" عن كلمة ذات أصل تركى والتى تتكون من مقطعين هما "قرة" بمعنى سوداء و"قوز" بمعنى عين، ليصبح معناها إجمالا: "العين السوداء"، وذلك

(١) المرجع السابق، ص٢٠، ٢١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٣.

(٣) انظر: أبو العلا، عصام، المسرحية العربية، الحقيقة التاريخية والزيف الفني، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٧م، ص١٥.

حسب ما يقول "مختار السويفي": "إنه دلالة على سوداوية النظر إلى الحياة" (١) . ومن أشهر فنانى الأراجوز فى العصر الحديث: المنولوجست الفنان "محمود شكوكو" الذى له إضافته فى هذا المجال الذى ابتدأه فى المقاهى ثم تطور معه إلى مسرح العرائس مع المبدع "صلاح السقا"، ومن قبل أسسا معاً مسرح "محمود شكوكو" للعرائس (٢) .

خامسا: حكايات "بتوع رمز":

"بتوع رمز" هم رجال ونساء لهم أزياء صارخة الألوان. "وكانوا يقومون بعمل ماكياج لوجوههم بالأصباغ والألوان. ثم يؤدون حركات تشبه حركات الأكروبات على أبواب القهاوي، مع قولهم لبعض العبارات التى تحكى حكاية قصيرة هى فى الغالب حكاية خيالية" (٣) .

أما عن إطلاق اسم (رمز) على هذه الفئة، فكما يعتقد "عبد المنعم شميس"، يرجع إلى أنهم كانوا فى حكاياتهم يستخدمون أسلوب الرمز، وهى غالبا حكاية غرامية مجهولة ليس لها أول ولا آخر، ولكنها ترمز إلى حالة المجتمع فى ذلك العصر، أى أنها تعالج المشكلات التى كانت تواجه الناس؛ مثل ارتفاع أسعار الطماطم أحيانا عندما يطلبها المشترون فى موسمها حتى ينادى عليها الباعة بالعبارة المشهورة:

---

(١) انظر: السويفي، مختار، خيال الظل والعرائس فى العالم، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٦٧م، ص٨١.

(٢) انظر: مقال بعنوان "فى ذكراه الـ١٠٣.. وجوه شكوكو البعيدة عن الفن"، بجريدة اليوم السابع، بقلم: "حسن مجدي"، بتاريخ ٤ مايو ٢٠١٥م.

(٣) قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، ص٦٥، ٦٦.

"مجنونة يا قوطة" (١) . ويعتبر هذا الفن فنا تعبيريا فى المقام الأول، وغالبا ما يستخدم التمثيل الصامت.

سادسا: فن النكتة:

هو حكاية ساخرة لاذعة أقرب إلى الحكمة السريعة التى لا حكاية متكاملة فيها، وهى لها شخصية تمثل الحكاية وتصورها، ولها أيضا مناسبة تُقال فيها.

وقد اشتهر المصريون فى تاريخهم بالنكتة التى يقصد بها الإضحاك؛ مثل قولهم: "يحموك فى كنكة" أو "يربطوا شنبك بفتلة".. وقد تكون النكتة سخيفة، ولعل أشهر أسخف نكتة لها علاقة بالمقهى، ألا وهي: "واحد جه يقعد على القهوة قعد على الشاي" (٢) .

ويذكر عن الشيخ "حسن الآلاتي" أنه كان يرتاد مقهى بحى السيدة زينب ويطلق عليه اسم "المضحكخانة"، ويشترط لدخول مجلسه وضع رسالة فى التنكيت والقفش، حتى إذا حازت عنده قبولاً ضم مقدمها إلى مجلس النادي، وقد جمع الشيخ "حسن الآلاتي" كثيراً من نوادر "المضحكخانة" فى كتاب طُبع فى نهاية القرن الماضي، ويحمل نفس الاسم "المضحكخانة" (٣) .. وهذا ما أكده حفيده

(١) قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، ص٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص٧٢.

(٣) ملامح القاهرة فى ألف عام، مرجع سابق، ص١٢.

الملحن "محمد الآلاتي" عن جده وزيادة (١) .

ومن أشهر ظرفاء المقاهى فى موضوع النكتة هذه: الشيخ الساخر "عبد العزيز البشري" وشاعر النيل "حافظ إبراهيم" والشاعر البائس "عبد الحميد الديب" والأديب الساخر "محمود السعدني" والكاتب والشاعر الكبير "كامل الشناوي" و"حنفى محمود باشا" (٢) . وآخرون.

ومن المقاهى التى ما زالت تعقد جلسات التنكيت "مقهى أفتر إيت" بوسط البلد (٣) .

سابعا: فن القافية أو "الإفيه" (إشمعنى):

وهو من الفنون القولية الارتجالية المعروفة فى المقاهى بمباريات كلامية بين اثنين، وأحياناً يكون لها حكم للاحتكام إليه، ويشترط فيها التراضى والتغاضى والرضا بالمزاح، حيث الهزل بديل عن الجد غالباً فى أصول اللعبة، لذا فإن من أنواع الاعتذارات التى يقبلها العامة فى مسألة المزاح أن يُقال له على سبيل الاعتذار: "أصل القافية حكمت".. لأنهم جميعا يعتبرون "القافية" فناً تمثيلياً قولياً مزاحياً ارتجالياً له قوانينه التى تعتمد على المفاجأة القولية، وتسرى على الجميع.

---

(١) فقد اخبرنى حفيده الملحن "محمد الآلاتي": بأن لجده مجموعة مؤلفات غير كتاب "المضحكخانة"، وكلها تدور عن الفكاهة والطرف وترويح النفس، وكلها موجودة بدار الكتب المصرية، مثل: كتاب "خسن المسرات" وكتاب "ترويح النفوس ومتعة العبوس"، وهو عبارة عن ثلاثة أجزاء.. وقد كان مشهورا بالقافية والنكتة وسرعة البديهة، فمما يروى عنه فى ذلك: أنه أهدى إليه مركوبا (أى حذاءا) من أحد أهم باشوات عصره، فلما سأله الباشا عن ثوابه فى الآخرة جزاء ذلك بحيث يستنطقه ليقول له طرفة فى موقف صعب فيه التنكيت.. قال له آنذاك: "يا باشا يحشر المرء يوم القيامة تحت ظل صدقته". كما أخبرني: بأن جده توفى سنة ١٩٣٦م.

(٢) يراجع فى ذلك: الشريف، يوسف، صعاليك الزمن الجميل، دار الشروق، مصر، ط٢، ٢٠٠٨م.

(٣) حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، ص١٥.

وتبتدئ المباراة بقولة متكررة: "تدخل لى فى قافية"، فيقول الأول كلاماً لاذعاً فيرد عليه الثانى بقوله: "إشمعنى".. بمعنى "ماذا تقصد بقولك هذا؟".. فيرد عليه الأول رداً لاذعاً غالباً ما يثير الضحك حتى للثاني.. وأحياناً كثيرة تكون القافية معنونة بعنوان يلتزم الطرفان بسياق هذا العنوان، فمثلا قافية الرياضة أو التعليم أو الطب أو المشروبات أو المكيفات أو الغناء.. إلخ.

وقد اشتهرت مقامٍ خاصة بمباريات القافية تلك، منها "مقهى المضحكخانة" بـ"السيدة زينب" الذى ذكره "جمال الغيطانى فى كتاب "القاهرة فى ألف عام". ولكن هذا الفن تطور وأصبح فناً مسرحياً وإذاعياً وانتقل إلى المجلات الفكاهية التى اشتهرت فى الجيل الماضي. ومن أشهر مبارياتها: المباريات الإذاعية الشهيرة بين "الفار" و"الجزار" وكذا بين "الخواجة بيجو" و"أبو لمعة". وكان من أشهر كتابه، الكاتب الزجال الفكاهى "حسين شفيق المصري" (١) .

ومن الشخصيات الفكاهية التى احترفت فن القافية فى "مقهى الفيشاوي" شخصية "عم إبراهيم" الذى يصفه الغيطانى بأنه: "كان رجلاً قصيراً، ضريراً يتاجر فى الكتب، وكان سريع النكتة.. فى ليالى الثلاثينيات يجلس إلى عدد كبير من الرواد، ويبادلهم هذا الشكل الفكاهى من الحوار، والمعروف فى مصر باسم "القافية" وكان يرد عليهم كلهم ويهزمهم. من هؤلاء الرواد الأستاذ "نجيب محفوظ" نفسه.

(١) انظر: فهاوى الأدب والفن فى القاهرة، ص٢٢، باختصار، وكذا: المسيري، عبد الوهاب، رحلتى الفكرية، دار الشروق، مصر، ط ٣، ٢٠٠٨م، ص٤٧، ٤٨.

والجدير بالذكر أن "مقهى أفتر إيت" بوسط البلد مازال شهيراً بأنه مكان يلتقى فيه محبُّو عقد جلسات القافية والإفيهات (١) .

ثامنا: الحكواتي:

شكل فنى قديم به تواصل بين الحكَّاء والجمهور، يقوم فيه الحكواتى برواية الحكايات أمام الجماهير بطريقة تمثيلية تستخدم فيها جميع وسائل الفن التمثيلى من ثياب وأدوات وحركات، بحيث يجلس على دكة عالية فى وسط المقهى (٢) .

وهى تشبه إلى حد كبير شخصية "القصاص" التى تحدث عنها الجاحظ (١٥٩م: ٢٥٥م)، إن لم تتطابق. وهو من الفنون التى ما زالت مستمرة للآن بشكل رمزى كنوع من الإحياء للتراث الشعبى القديم. كما فى مصر بشكل ما يأخذ الشكل التراثي، وفى الشام - حلب وحمص وصيدا ودمشق- كما فى "مقهى النوفرة" الشهير بدمشق خصوصاً فى شهر رمضان، وفى المغرب العربى كما فى "مقهى الحافلة" بطنجة (٣) ، وأحيانا فى باريس وبعض العواصم الغربية. ومن مشاهير الحكواتية فى باريس: المسرحى والكاتب العراقى "سعدى يونس البحري" المشهور بعروض الحكواتى للأطفال، والفنانة المصرية "شيرين الأنصاري" (٤) .

---

(١) حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، ص١٥.

(٢) انظر: قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، ص٦٨، باختصار وتصرف.

(٣) مقاهى الأدباء فى الوطن العربي، ص١١٢.

(٤) المقاهى الأدبية فى باريس، ص٨٨.

تاسعا: الملاحم والسير الشعبية:

وهو نشاط قديم للمقاهى قد وصل إلينا وصف لمجالسه مع أول وصف للمقاهى فى مصر للمستشرق الانجليزى "إدوارد وليم لين" بكتابه "المصريون المحدثون" الذى قال: "يجلس القاص فوق مقعد صغير فى أعلى المصطبة، المقامة بطول واجهة المقهى. ويجلس بعض السامعين إلى جانبه، بينما يجلس البعض الآخر على مصاطب المنازل المقابلة فى الشارع الضيق، والباقون على مقاعد من الجريد. وأكثرهم يدخن الشبك، وبعضهم يرتشف القهوة، وهم جميعا يبتهجون أعظم الابتهاج بسماع القاصّ لقوة تمثيله، ولموضوع القصة" (١) .

كما وصف علماء الحملة الفرنسية هذا الفن بكتاب "وصف مصر" على النحو التالي: "يوجد فى كل مقهى عدد من الرواة والمُنشدين يحكون أو يغنون حكاية صحيحة أو وهمية عن شخصية خارقة ورد اسمها فى النصوص الدينية أو التاريخ الإسلامي، ويكون الإلقاء عادة حيًّا مليئًا بالقوة والحيوية، كما أن الأغنيات تمتلئ بعبق الشعر ووهجه، وتكون نغمة الحكى مرتفعة، أما نغمة الحوار فمتوسطة، ويتوقف الراوى فى معظم الأحيان ليسأل مستمعيه عما إن كانوا يشكون فى صحة حكاية أو ما إن كانت الحكاية فى مجملها - جميلة أو خيرة، ويزيد منشدو المقاهى هؤلاء حكاياتهم حيوية عن طريق حركات بالغة التعبير، ويصحبونها أو يسبقونها بموسيقى غريبة تصدر عن آلة موسيقية وتَرية" (٢) .

---

(١) المصريون المحدثون، ص٣٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٩، ١٤٠، بقليل من التصرف.

وقد تحدث "د. كلوت بك" عن هؤلاء المنشدين الذين يطلق عليهم اسم "شعراء" بتفصيل أكثر، وقال: إنهم طائفة خاصة من الناس يروون تلك القصص على مسامع الجمهور، هم ينقسمون إلى أقسام أو فرق تختص كل فرقة منها برواية قصة واحدة.. وهم ثلاثة أنواع: الهلالية - نسبة لسيرة أبى زيد الهلالى - وهى الأكثر عدداً، والبيبرسية - نسبة للسيرة الظاهر بيبيرس - والعنترية - نسبة لسيرة عنترة ابن شداد - وقلما تتعدى طائفة منهم على طائفة فى تخصصها.. ولم يذكر "كلوت بك" ولا علماء الحملة الفرنسية من قبله بعض السيرَ الشعبية التى كانت مشهورة فى مقاهى القاهرة، مثل "سيرة ذات الهمة" و"على الزيبق" (١).

علاوة على كثير من السير الشعبية التى استحدثت فيما بعد، وأضافها الوجدان الشعبى لتراثه، حتى صار لها جمهور ومريدون يطلبونها بالاسم، وبالتالى صار لها منشدون وفنانون يعرفون بها، وهذا ما يقرره المؤرخ الكبير "جمال بدوي" فى قوله: "انتشرت فى كل أرجاء مصر، فى بداية هذا القرن، أسطورة "ياسين وبهية" وشاعت على ألسنة الجماهير أغنية: يا بهية وخبريني.. عاللى قتل ياسين..! حتى باتت جزءا من التراث الشعبى كسيرة "أبى زيد الهلالي" و"أدهم الشرقاوي" و"حسن ونعيمة".. يتغنى بها شاعر الربابة فى المقاهى الشعبية، وفى حلقات السمَر التى يقيمها الفلاحون فى جرن القرية خلال أمسيات الصيف الندية" (٢).

(١) قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، ص٣٢، بتصرف واختصار.

(٢) بدوي، جمال، مصر من نافذة التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٥م، ص١٤٩.

عاشرا: الإنشاد الديني:

وهناك فرق مخصصة لهذا الإنشاد، وغالبا ما تستخدم بعض الآلات الموسيقية، وهى ما زالت متواجدة إلى الآن، ولكن يكثر ويتركز نشاطها فى شهر رمضان من كل سنة.

حادى عشر: الإنشاد الشعري:

هو نشاط قديم مازالت له آثاره كتراث فى الحاضر بما يسمى "الأمسية الشعرية"، وفى الماضى القريب اشتهر من ضمن ما اشتهر "مقهى المسيري" بدمنهور بهذه الأمسيات الشعرية، وكذا كثير من مقاهى العراق والشام وعمان وبيروت، ناهيك عن القاهرة.

ثانى عشر: الفنون التشكيلية:

وقد اشتهر الكثير من المقاهى بأنشطة الفنون التشكيلية. ومن أشهرها فى القاهرة: "مقهى التكعيبة" بوسط البلد على امتداد مقهى شهير "أفتر إيت" وسط عدد من قاعات الفن التشكيلي؛ مثل "قاعة المشربية" و"تاون هاوس" و"كريم فرنسيس". ومن رواد التكعيبة الفنان الكبير "جورج بهجوري" الذى يرعى به كثيرا من المواهب الشابة. وفى الأقاليم "مقهى المسيري" بدمنهور.

ومن أشهرها فى العراق "مقهى البرازيلية" بشارع الرشيد، وفى حلب بسوريا "مقهى بالانجبان" و"مقهى القصر" العريق المليء بالفنانين والمثقفين والأدباء الذين يلتفون حول ركن الفنان التشكيلى العالمى "لؤى الكيالي". و"مقهى عرمرم" المشهور بأمسيات "شهرياد" الثقافية الشهيرة من عزف وإلقاء وفن تشكيلى تحت

إشراف الحركة الشبابية الأدبية شهرياد [واسم شهرياد هو خليط من اسم شهريار الرجل وشهرزاد الأنثى]((١)).

وتعد مقاهى حى الرسامين فى باريس "مونمارتر" أشهر مقاهى الفنون التشكيلية فى العالم، حيث تسبح تلك المجموعة من المقاهى فى عالم منغمس فى الفن التشكيلى والبوهيمية والليل فى مكان ساحر يكشف باريس بأكملها من على هضبة مرتفعة. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر والمعارض التشكيلية هى سمة تلك المقاهي، ناهيك عن التجمع الفنى الكبير لفنانين يتنافسون فى رسم باريس من أعلى.

ثالث عشر: أنشطة المقاهى الاستهلاكية الجديدة:

المقهى بطبيعة الحال عبر كل العصور ضد ثقافة الاستهلاك، فهو بديل شعبى عن المنتزهات والأندية. ويسوده روح المساواة فى توافق عام يدعو لعدم التمايز بين رواده.

لكن مع التطور المستمر فى تحديث المقاهى عن طريق الطرز المعمارية المبالغ فيها، والديكورات ذات التفاصيل الزائدة عن الحد، وشاشات العرض الضخمة، وأجهزة الألعاب الإليكترونية التى تفقد رواد المقاهى التواصل مع أقرانهم فى المقهى، والاتجاه نحو الاستهلاكية الشرهة والطبقية؛ يتم القضاء على تراث المقاهى وتحول إلى منتديات للتفاخر والتمايز مما يؤدى إلى مناخ عام للمقهى يغذى الميول النفعية والاستهلاكية، ويكرس للأنانية الفردية التى تهمش مشاعر المواطنة

(١) مقال بعنوان "مقاهى الشعراء فى بيروت"، بقلم: زهرة مروة، ضمن ملف المقاهى بموقع مطر، على الرابط:
http://www.matarmatar.net/threads/2135/page-3

وتدعو للسلبية والنفعية والميل لثقافة اللذة بدلا من ثقافة السعادة القائمة على الانتماء داخل دوائر من التعددية..

فضلاً عن الأنشطة التى تصب فى نفس المسار من المسارعة إلى تتبع أحدث الكليبات الغنائية ونيو لوك الفنانين، علاوة على مادة تلفزيونية عديمة التحفيز الذهنى والفكرى مثل المباريات الرياضية والكليبات والأفلام الإباحية أحيانا كثيرة، وكذا استخدام المقهى فى التخطيط للمغامرات العاطفية وخلافه.

.. وبعد.. ماذا عن المستقبل:

.. ما سبق لا يدعو للتشاؤم التام، بل يدعو للحذر والعمل على ضبط النسب؛ لأن التطور والتحديث لا يعتبر كله من التحديات التى تستوجب المواجهة، ولكن فيه من الفرص التى تجعلنا نوجه الأبناء إلى مُسايرة العصر والتمسك بالهوية وامتلاك زمام الشخصية الوطنية داخل النسق الحداثى الجديد.

لأن المقاهى كانت فى السابق بها من الأنشطة السلبية التى كرسّت لآفات وآفات أُبتلى بها المجتمع الآمن المسالم؛ مثل: التدخين وما تبعه فى بعض الأحيان من إدمان للمخدرات، ورغم أن التدخين لم يكن دائماً مترافقاً مع هذه الآفات، فإنه - ولا شك - كان من مقدماتها. ومع هذه السلبيات المترافقة غالبا مع المقاهي؛ كان هناك الكثير من الإيجابيات ومنها الكثير الذى دعا الكاتب لكتابة هذا المؤلَّف بالأساس.

.. بمعنىٰ آخر:

فكما كانت المقاهى فى السابق بها من التحديات التىٰ واجهت الإنسانية، كان بها أيضا من الفرص التىٰ اغتنمتها الإنسانية.. فإن المقاهى بأنماطها الحديثة كما أنها بها كثير من التحديات، بها أيضاً الكثير من الفرص التىٰ تجعلها بضبط النسب أداة ناجزة للأصالة المعاصرة التىٰ يبتغيها كل محب للوطن.

.. وهو أمر ليس بالأمر السهل.. لكنه أيضاً ليس الأمر العسير، إنصادف إرادة رجال يقومون على تلك المقاهى مثل ذاك "الرجل الزمكاني".. المحب لجماليات المكان الذى ينتمى إلى مكانه وإلى تاريخه.. مثل "عبد المعطى المسيري" و"نجيب محفوظ".

وكما يقول "عيد عبد الحليم": رغم التغيرات الشكلية والجوهرية فى بنية وشكل المقهى، فإنه سيبقى إحدى الظواهر المكانية المهمة فى تاريخ ومستقبل الشعوب حتى وإن بدا تأثيره هامشيا، مع دخول عناصر ترفيهية تنتمى إلى ثقافة العولمة.